

وكانت إحدى الأمهات تغنى لابنتها الطفلة وهي ترقصها :
كريمة يحبها أبوها
مليحة العينين غلباً فورها
لا تحسن السب وإن سبورها

لقد كانت أغاني المهد ، أو أغاني ترقيص الأطفال التي أشرنا إلى بعضها ، بمثابة مداعبات ، وتفاؤلات بالنسبة للطفل وتوقعات مستقبله ، وهي ليست قصصاً ولكننا سنرى كم من المهم أن يستمع الطفل منذ بواكير طفولته إلى الغناء الموقع ، والشعر الموزون ، لتنمو لديه حاسة الإيقاع ، ويتأصل الإحساس بالجمال والتوازن .

لقد وجدت أغان وأناشيد للأطفال منذ العصر القديم ، وفي مآثورات قدماء المصريين من النصوص ألعاب لغوية ، وألغاز ، وأناشيد ، وآداب وقصص ذات أهداف تهيئية دينية واجتماعية . وهذا الفن موجود في التراث العربي ، دون أن يختص به كاتب بعينه ، إنه مجتزج بالآثار الشعبية والحكايات والنوادر ، والذي يقرأ مقدمة ابن المقفع لكتاب « كليله ودمنة » يجده يشير إلى هدفه التعليمي التهيئي للصبيان ، الذين يمكن أن يرددوا حكاياته دون إدراك كامل لمراميها الفكرية والسياسية ، تماما كما يرددوها العامة لما فيها من عجائب وعظات دون أن يفطنوا لما وراء ذلك ، غير أن الطفل يكبر يوماً ، ويتسع إدراكه ، فيكتشف من أهداف قراءات الطفولة مالم يكن يعرف . ما أجدر هنا بأن يذكر بالقرآن الكريم الذي حفظناه أطفالاً قبل أن ندرك معانيه ، وقد تحقق بعض هذا مع الزمن ، فكان له أثر عظيم .
إن المصادر التراثية للقصص متعددة المصادر والمستويات ، فهناك قصص الأمثال ، وكليله ودمنة ، وثعلبة وعفراء ، والصادح والباغم ، وشكوى الحيوان للإنسان ، والحكايات العجيبة ، وفاكهة الخلفاء ، والأذكيا والبخلاء ، والأجواد ...

كل هذه الكتب اهتمت بالقصص والأخبار والنوادر ، غير ما نجد في كتب مثل الكامل ، والعقد الفريد ، والأغانى ، والمستطرف ، ومصارع العشاق ، والفرج بعد الشدة ، وألف ليلة وليلة...
ولسنا نزعم أن هذه الكتب ألغت من أجل الأطفال ، أو أن قصصها وضعت لأهداف التربوية والتعليم ، ولكن يمكن أن نقول أن هذا ما تدل عليه بعض القصص .

إن الفن القصصي ضارب بجذوره في الثقافة العربية ، وقد رأينا كيف يمتدح القرآن الكريم القصة ، ويتخذها سبيلاً إلى رسم القدوة ، وتهذيب الأخلاق ، وطريقاً لشد العزائم وتقوية القلب¹ فهي نوع من العلاج النفسي² ولكن هذا الفن على أسسه النقدية التي نعرفها له اليوم يعتبر فناً وأداةً علينا من